# الناتنوغرافيا: نحو مقاربة منهجية جديدة لدراسة المجتمعات الافتراضية

# Netnography: Towards a new methodological approach to study the virtual societies

خالد لـرارة*[1]

[1] جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، larara.khaled@univ-alger3.dz

lararakhaled@gmail.com

تاريخ الاستلام:2022/05/17 تاريخ القبول: 2022/08/03 تاريخ النشر: 2023/03/08

**ملخص:**

تهدف هذه الورقة إلى إبراز المنهج "الناتنوغرافي" كأسلوب جديد لدراسة المجتمعات الافتراضية، إلا أن السياق الذي تدور في فلكه هذه المجتمعات الافتراضية أدى بالباحثين إلى تكييف المفهوم مع طبيعة هذه المجتمعات وخصوصياتها وبالتالي انتقل العمل بمفهوم "إثنوغرافيا المجتمعات الواقعية" إلى مفهوم "ناتنوغرافيا المجتمعات الافتراضية".

وقد توصلنا إلى أن هذا المنهج لم يحض بالقدر الكافي من الشرح والتبسيط وحتى الاستخدام في الدراسات والبحوث الميدانية بكل أشكالها في الجامعات العربية، بالمقابل مع الدراسات المتقدمة في الجامعات الغربية التي انطلقت منذ منتصف التسعينيات من القرن العشرين.

**كلمات مفتاحية:** المجتمعات الافتراضية، المنهج الإثنوغرافي، المنهج الناتنوغرافي.

**Abstract:**

This paper aims to highlight the "netnography" approach as a new method for studying virtual societies, but the context in which these virtual societies revolve has led researchers to adapt the concept to the nature and peculiarities of these societies.

We have concluded that this approach has not been sufficiently explained, simplified and even used in studies and field research in all its forms in Arab universities, in contrast to advanced studies in Western universities that were launched since the mid-nineties of the twentieth century.

**Keywords:** Virtual Societies, Ethnographic Method, Netnographic Method.

* خالد لـرارة: طالب دكتوراه، تخصص الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة.

## 1. مقدمة:

تعتبر المجتمعات الافتراضية من الظواهر المستجدة التي أفرزتها تكنولوجيات الاتصال وبروز خاصية تشبيك العالم عن طريق الانترنت التي دخلت حيز الخدمة المدنية والتجارية مطلع التسعينيات من القرن الماضي. وقد تعددت أنماط هذه المجتمعات الافتراضية، غير أن التي برزت بشكل ملفت للانتباه هي مواقع التواصل الاجتماعي والتي يعتبرها العديد من الباحثين السوسيولوجيين على أنها مجتمعات موازية للمجتمعات الواقعية، باعتبار أنها فضاءات سوسيولوجية تتجلى فيها أهم المظاهر الاجتماعية من سلوكيات فردية وجماعية، وبناء النسق الاجتماعي الذي أساسه العلاقات الاجتماعية وتبادل الأدوار والتفاعل الاجتماعي. وبناء على هذا فإن اهتمام الباحثين بدراسة هذه المجتمعات الافتراضية جاء نتيجة لبعض الخصوصيات المرتبطة بها، خصوصا ما يتصل بالجانب المنهجي ومحاولة تكييف المداخل المنهجية لدراستها لاسيما المقاربات الكيفية التي يعتبرها باحثون الأقرب لتفسير خصوصيات المجتمعات الافتراضية. ويأتي المنهج "الناتنوغرافي" كمنهج كيفي مستحدث، والذي يعني في جوهره منهجا إثنوغرافيا لدراسة نوع خاص من المجتمعات. غير أن السياق الذي تدور في فلكه هذه المجتمعات الافتراضية أدى بالباحثين والدارسين إلى تكييف المفهوم مع طبيعة هذه المجتمعات وخصوصياتها وبالتالي انتقل العمل بمفهوم "إثنوغرافيا المجتمعات الواقعية" إلى مفهوم "ناتنوغرافيا المجتمعات الافتراضية"، وبالتالي فإننا سنحاول الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: "**ما هي أهم خصوصيات الناتنوغرافيا كمقاربة منجية جديدة لدراسة المجتمعات الافتراضية؟**"

وقد أدرجت بعض التساؤلات الفرعية التي ستساعد في تفكيك السؤال الرئيسي السابق نذكرها على النحو الآتي:

- ما هو المنهج الناتنوغرافي؟
- كيف بدأ الاهتمام بالمنهج الناتنوغرافي في دراسة المجتمعات الافتراضية؟

- ما هي الأدوات البحثية التي يرتكز عليها الباحث في جمع المعلومات عند استخدامه للمنهج الناتنوغرافي؟

إذن هذه الورقة تستعرض إحدى أهم المناهج العلمية المستجدة في ميدان علوم الإعلام والاتصال وهو المنهج الناتنوغرافي،الذي للأسف لم يحض كثيرا بالدراسة والشرح والرصيد المعرفي والنظري خصوصا في المؤلفات والدراسات في المنطقة العربية بالمقابل مع الرصيد المعرفي الأجنبي الذي بدأت أولى أبحاثه مع بداية هذه الألفية، ربما محاولات محتشمة لبعض الباحثين في دول المغرب العربي. فالمجتمعات الافتراضية التي أوجدتها البيئة الاتصالية الرقمية الجديدة أصبحت ضمن أولويات اهتمامات باحثي ومنظري علوم الاتصال. ولهذا السبب فإن البحث عن مقاربات نظرية ومنهجية تتناسب مع هذه الظاهرة المستجدة أصبح أولوية الأولويات، أو على الأقل تكييف بعض المقاربات النظرية والمنهجية الكلاسيكية. ولهذا فإن هذه الورقة البحثية تساهم بقدر معين في بلورة الجانب النظري لهذا المنهج الذي يعد مفهوما كُيِف مع البيئة الرقمية والافتراضية التي تنشأ فيها المجتمعات الافتراضية.

وتهدف إلى إبراز أهم خصوصيات المنهج الناتنوغرافي، ومحاولة تحديد ظروف ميلاده في البحوث الغربية ودخوله حيز الاهتمام والتطبيق من طرف الباحثين الغربيين، بالإضافة إلى تقديم أهم الأساليب والأدوات المنهجية التي يرتكز عليها المنهج الناتنوغرافي في جمع المعلومات، وكذا صعوبات تطبيقه في دراسة المجتمعات الافتراضية نظرا لديناميكية هذا النوع من المجتمعات وصعوبة فهم العلاقات الاجتماعية بين أفرادها.

## 2. المجتمعات الافتراضية، مدخل مفاهيمي

### 1.2 تعريف المجتمعات الافتراضية:

عادة ما يتم تعريف المجتمع الافتراضي على أنه مجموعة من الأشخاص يتفاعلون بسبب مصلحة أو مشكلة أو مهمة مشتركة عبر فضاءات متاحة على شبكة الانترنت. وما زاد

في انتشارها هو التطورات المستمرة في مجال الاتصالات وظهور وسائط الاتصال الجديدة لاسيما أجهزة الاتصال المحمولة. (Van Beijum, 2009)

وقد ظهر مصطلح المجتمع الافتراضي في صورته الإنجليزية عنواناً لكتاب هاوارد راينجولد Rheingold سنة 1993، ويعني جماعة من البشر تربطهم اهتمامات مشتركة ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافيّة أو أواصر عرقيّة أو قبليّة أو سياسيّة أو دينيّة، يتفاعلون عبر وسائل الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي الحديثة، ويطوّرون فيما بينهم شروط الانتساب إلى الجماعة وقواعد الدخول والخروج وآليات التعامل والقواعد والأخلاقيات التي ينبغي مراعاتها. ويتعبير دي موور ووايجاند de Moor and Weigand المجتمع الافتراضي هو "نظام اجتماعي تكنولوجي". (الديربي، 2013)

ويعرف سيرج بروكس Serge Proulx المجتمع الافتراضي بأنه: "مجموعة من الأفراد يستخدمون منتديات مختلفة كمنتديات المحادثة والنقاش أو مجموعات الحوار، وتنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة، ويتقاسمون نفس الأذواق، القيم، والاهتمامات ولهم أهداف مشتركة." (عبوب، 2019)

كما يعرفه محمد منير حجاب في معجمه الإعلامي بأنه: "مجتمع يتكون من أشخاص متباعدين جغرافيا، ولكن الاتصال والتواصل بينهم يتم عبر الشبكات الالكترونية، وينتج بينهم نتيجة لذلك نوع من الإحساس بالولاء والمشاركة." (حجاب، 2004)

وتسعى المجتمعات الافتراضية إلى إنتاج ما يمكن تسميته (بالشعور بالجماعة أو الشعور بالمجتمع)، فإحساس المستخدم بمجتمعه الافتراضي ينبع من عدة عوامل نذكر أهمها على النحو الآتي:

- الشعور بالانتماء إلى المجتمع الافتراضي، عبر إنشاء حساب في الموقع ومتابعة ما يُنشر فيه والتفاعل مع باقي المستخدمين.

- الشعور بالقدرة على التأثير في باقي المستخدمين عن طريق إمكانية النشر والتفاعل عبر إبداء الإعجابات والتعليقات وغير ذلك طبقا لطبيعة كل موقع.

- تبادل الدعم وإشباع الحاجات النفسية والشعورية الذي يظهر في تبادل التهاني والمواساة في المناسبات والمواقف.

- التواجد والحضور بصورة فاعلة في المجتمع الافتراضي وهما نقيض للعزلة والغياب التي قد يعاني منها المستخدم في مجتمعه الافتراضي بعد مدة زمنية معينة.

- الثقة التي تبدو مهمة في المجتمعات الافتراضية، وتبدأ بثقة الفرد بنفسه ثم بالآخرين حتى يستطيع نشر ومشاركة ما يرغب به من موضوعات وأفكار وصور ومقاطع.

- الخلفية المشتركة والتي تعني قوة العلاقة الافتراضية كلما تأسست على خلفية مشتركة، وغالبًا ما تنشأ تجمعات صغيرة أو كبيرة داخل المجتمعات الافتراضية حول قضية أو موضوع أو شخصية. (حسني، 2019)

**2.2 السمات العامة للمجتمعات الافتراضية**

يبدو أن تكوين المجتمعات الافتراضية يتقاطع إلى حد ما مع البناءات الاجتماعية للمجتمعات الواقعية، بدءا من التكوين الاجتماعي الذي يعني وجود أفراد يجتمعون فيما بينهم لتأسيس جماعات افتراضية، وصولا إلى أنماط التفاعل والتواصل بين هؤلاء الأفراد. ومن جهة أخرى فإن المجتمعات الافتراضية رغم تنوعها واختلافها في توجهاتها إلا أنها تشترك في مجموعة من السمات والخصائص نحددها على النحو التالي:

- وجود غرض مشترك بين الأفراد المشكلين للجماعة الافتراضية، ونقصد بذلك الفكرة الرئيسية التي دفعت الأفراد إلى تكوين مجتمعا افتراضيا، أو التي دفعت أفرادا آخرين ليكونوا أعضاء ضمن مجتمع ما.

- يظهر جليا حوار مشترك مترامي الأطراف، تحكمه مجموعة من النظم و القواعد التي لابد للأعضاء من الالتزام بها. وهذا الحوار هو في الحقيقة نتاج للمشاركة المتكررة للأفراد في أنشطة غالبا ما تكون تفاعلات ضمن علاقات اجتماعية.

- وجود نظام اجتماعي معين خاص بكل مجتمع افتراضي، يفرض على أعضائه الالتزام به واحترامه، مثل التقاليد الاجتماعية، اللغة، قواعد الضبط الاجتماعي، الاحترام المتبادل، القيم... والتي لابد من ممارستها حتى يسود التكامل الاجتماعي وتقوى الروابط الاجتماعية.

- توافر المعلومات وسهولة تبادلها ونقلها، والمشاركة في تحليلها من خلال إبداء الآراء والتعليقات، والتفاعل الاجتماعي في إطار الالتزام بحدود الدور والعضوية داخل الجماعة الافتراضية. وفي هذا الصدد فإنه كما هو معلوم لكل مجتمع افتراضي بناء اجتماعي، فالأعضاء لهم أدوار ومكانة اجتماعية مختلفة من فرد إلى آخر، يحصل عليها الأفراد نتيجة للسمعة والانجازات الاجتماعية والفكرية والثقافية. (كاظم، 2012)

من خلال استعراض الخصائص السابقة للمجتمعات الافتراضية نجد أنها تتقاطع إلى حد ما مع الخصائص الاجتماعية للمجتمعات الواقعية، إلا إذا استثنينا خاصية التواجد الجغرافي أو المكان الملموس والمحسوس بأبعاد وحدود جغرافية واقعية. وحتى المجتمعات الافتراضية لها مكانها الخاص في شبكة الانترنت والتي يمكن اعتبارها جغرافيا المجتمعات الافتراضية.

**3.2 دواعي دراسة المجتمعات الافتراضية**

لا شك أن المجتمعات الافتراضية أضحت السمة البارزة على شبكة الانترنت، ليس فقط من حيث كثرتها أو أشكالها، ولكن نظرا لاستقطابها أعدادا هائلة من الأفراد والمشاركين من كلا الجنسين، وبالتالي حصول الانتقال من ظاهرة المجتمع الواقعي بكل تجلياته إلى ظاهرة المجتمع الافتراضي الذي يتجاوز حدود المجتمع الواقعي باعتباره فضاء يضفى حرية التصرف ويطلق عنان لسلوكيات أفراده.

ويشير تقرير لموقع **Data Reportal** لشهر جويلية 2021، إلى أن أكثر من نصف سكان العالم حاليا والبالغ عددهم 7.87 مليار نسمة يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي، و4.80 مليار شخص حول العالم يستخدمون الانترنت حتى شهر جويلية 2021،

بزيادة 316 مليونا عن عددهم في مثل هذا الشهر من السنة الماضية، ويشكل عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي حاليا ما نسبته 56.8% من سكان العالم. كما يقضي الشخص العادي ما يقرب ساعتين و 30 دقيقة في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يوميا، وعموما فإن العالم يمضي أكثر من 10 مليارات ساعة يوميا يستخدم وسائل التواصل الاجتماعي وهذا ما يعادل نحو 1.2 مليون سنة من عمر الوجود البشري. (الدلقموني، 2021)

**الشكل 1: إحصائيات حول استخدام مو اقع التواصل الاجتماعي في العالم**

| | |
|---|---|
| 4.80 | مليارشخص حول العالم يستخدمون الانترنت |
| %60.9 | من سكان العالم البالغ عددهم 7.87 مليارات نسمة يستخدمون الانترنت |
| 4.48 | مليارات شخص يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي |
| %56.8 | من سكان العالم يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي |
| 9/10 | أكثر من 9 من كل 10 مستخدمين للانترنت يستخدمون الآن وسائل التواصل الاجتماعي كل شهر |
| 9 شبكات | يمتلك الشخص العادي حسابات على أكثر من 9 شبكات تواصل اجتماعي مختلفة |
| 6.6 منصات | يستخدم الشخص العادي أو يزور بنشاط ما متوسطه 6.6 منصات تواصل اجتماعي مختلفة شهريا |
| 2:30 | يقضي المستخدم العادي ما يقارب من ساعتين و30 دقيقة مستخدما وسائل التواصل |
| % 91 | من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي يصلون إليها عبر أجهزتهم الجوالة |
| 10 | يمضي العالم أكثر من 10 مليارات ساعة يوميا يستخدم وسائل التواصل، وهذه ما يعادل نحو 12 مليون سنة من عمر الوجود البشري |

**المصدر**: الدلقموني، 2021

تعكس هذه الأرقام ضخامة التواجد البشري على شبكة الانترنت لاسيما الجماعات الافتراضية، وهي تعكس نوعا جديدا من التآلف الاجتماعي التكنولوجي، بثقافة جديدة ومليئة بشتى السلوكيات الإيجابية والسلبية لأفرادها الذين هم في حقيقة الأمر أعضاء في مجتمعاتهم الطبيعية. فالتواجد الافتراضي تمليه فرص لا حدود للثقافات، وتذوب الضوابط الدينية والأخلاقية، والهويات والخصوصيات بين هؤلاء الأفراد والجماعات، وبالتالي تتشكل ثقافات موازية وأنماط عيش مبنية على أفكار وفلسفة يمليها التنوع الثقافي المتداخل ومتشعب المصادر. وبناء على هذا المعطى تتضح دوافع دراسة المجتمعات الافتراضية، وضرورة البحث في مختلف جوانبها، ومن بين هذه الدوافع نورد ما يلي:

- على الرغم من أن الانترنت أتاحت لملايين الناس إمكانية الاتصال على الخط مباشرة، منذ أكثر من عقدين، إلا أن المعرفة لا تزل قليلة حول الحركية الاجتماعية والتقنية لهؤلاء الناس خاصة فيما يتعلق بالاتصال الجماهيري على الخط.

- الأحجام الضخمة من المشاركين، فهم متنوعون في الثقافات والأعمار والخبرات العملية والعلمية، لذا يتطلب الأمر تعميق فهم الفعب التكنولوجي، وكيف يمكن تطوير الوسائل والطرق الاستعمالية بما يفيد الجانب الاجتماعي لهذه المجتمعات.

- إن التعرف على هذه الجماعات ودراستها بشكل مباشر خصوصا بالمشاركة معها والتخاطب على الخط، يتيح إمكانية فهم سلوكيتها اجتماعيا وثقافيا على شبكة الانترنت.

- إن الاحتياجات الحكومية والتجارية والتعليمية وغيرها، والتي تحتاجها الكثير من الإدارات الحكومية والمؤسسات التجارية تحتاج لإدماج المجتمعات الافتراضية لممارسة أنشطتها وخدماتها على الخط، مثل دفع الضرائب، الحصول على التراخيص، الدعم الاجتماعي، التغطية الصحية، التعليم عن بعد، تبادل المعلومات، تجارة السلع وغيرها، الأمر الذي يتطلب مزيدا من المعرفة بهذه المجتمعات. (رحومة، 2008)

### 3. الناتنوغرافيا، الخطوات الأولى كمنهج جديد في الدراسات العلمية

#### 1.3 الخلفية النظرية من الإثنوغرافيا إلى الناتنوغرافيا

إن تطور الظاهرة الاجتماعية طردا مع التطور التكنولوجي الذي مس كل مجالات الحياة البشرية، فرض على الباحثين والدارسين منطق تجديد الرؤى النظرية والمداخل المنهجية في تفسير هذه الظواهر، خصوصا وأن المناهج التجريبية والمسحية عجزت في كثير من الأحيان على شرح أبعاد وقضايا مرتبطة بالمجتمعات لاسيما أنماط سلوكيات أفرادها وثقافاتهم. فهذا العجز ليس راجع إلى ضعف هذه المناهج – الدراسات التجريبية والدراسات الوصفية المسحية- بل لأن الهدف من البحث في مثل هذه الوضعيات يستلزم أنواعا أخرى من المناهج التي تمكن الباحثين من الإنغماس في المجتمع محل البحث وضرورة التناغم مع أنساقه الاجتماعية. ولعل المنفذ السليم لذلك هو المنهج الإثنوغرافي الذي يقترن بالدراسات الكيفية في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية.

والمنهج الإثنوغرافي يقصد به على وجه العموم إجراءات بحثية كيفية تهدف لوصف النماذج السلوكية المشتركة لمجموعات تتقاسم الثقافة، وأنماط عيش معينة، والعمل على تحليلها وتفسيرها. ويقصد بالثقافة هنا كل ما له علاقة بالسلوك، والمعتقدات، واللغة، والتقاليد، ومراحل الحياة والتفاعلات، وأنماط التواصل، وحتى البنى السياسية والاقتصادية. وحتى يتمكن الباحث الإثنوغرافي من فهم نماذج الجماعات وسلوكيات أفرادها، يقضي وقتا طويلا في المقابلات الشخصية والملاحظة بالمشاركة وتجميع الوثائق، حتى يتوضح لديه الفهم الكافي لسلوكياتهم وثقافتهم المشتركة، ومعتقداتهم وتقاليدهم. وهنا وجب التنبيه إلى أن المنهج الإثنوغرافي يرتبط ارتباطا وثيقا "بعلم الأنثربولوجيا" أو "علم الأناسة" كما يسمى في الأدبيات العربية. وقد أوضح هامرسلي Hammersley أن البحث الإثنوغرافي يجب أن يجرى وفقا للخطوات الخمس التالية:

- سلوكيات الأفراد مجال البحث، وتجرى وفق سياقات الحياة اليومية، وليس وفق الظروف التجريبية التي يخضعها الباحث للدراسة؛

- يتم تجميع البيانات من مصادر متعددة، ومع ذلك تبقى الملاحظة والمقابلة الأداتين الرئيسيتين لهذا التجميع؛

- مدخل تجميع البيانات لا يكون بالضرورة مخططا له سلفا، بمعنى أن الباحث لا يضع بالضرورة خطة مسبقة لجمع البيانات.

- التركيز في البحث على بعد واحد، أو مجموعة من القياسات الصغيرة نسبيا؛

- يتضمن تحليل البيانات تفسيرا للمعاني والوظائف الكامنة لسلوكيات الأفراد، كما أنه يتخذ صيغة الوصف والتفسير اللفظيين. (زيتون، 2006)

**2.3 تعريف المنهج الناتنوغرافي:**

يمكن تعريف المنهج الناتنوغرافي على أنه بحث إثنوغرافي متخصص، تم تكييفه مع الظواهر المتصلة بالتفاعل الاجتماعي داخل المجتمعات الافتراضية التي تنشأ على شبكة الانترنت بوساطة الكمبيوتر. (Kozinets, 2012)

وفقًا لـ Corrêa و Rozados تم استخدام هذا الأسلوب لأول مرة من قبل الباحثين الأمريكيين Bishop و star و Neumann و Ignacio و Sadunsky و Schatz عام 1995 والذين استخدموا الوسائط الإلكترونية لتتبع تصرفات مستخدمي الكمبيوتر وأنظمة الكمبيوتر والمعلومات مثل: المكتبات الدورية الافتراضية. (Corrêa & Rozados, 2017)

وكان Mason من أوائل الباحثين الذين استخدموا مصطلح "الإثنوغرافيا الافتراضية" سنة 1966 وذلك لوصف البحث الإثنوغرافي حول التفاعلات الافتراضية ولكن يمكن أيضًا استكماله بمنهج إثنوغرافيا غير المتصل بالإنترنت لفهم السلوك الإنساني عبر الإنترنت. في وقت لاحق ، وفي سنة 1998 صاغ Kozinets مصطلح "netnography" والذي يشير إلى البحث الإثنوغرافي للتفاعلات الاجتماعية عبر الإنترنت. أما مصطلح "الإثنوغرافيا عبر

الإنترنت" اقترحه الباحث Markham (1998، 2005) كطريقة تسعى إلى فهم السلوك المتصل عبر الإنترنت وربطه بسلوك الأفراد حين يكونون غير متصلين، ودراسة العلاقة بينهما.

ومع الانتشار الكبير لشبكة الإنترنت وظهور وسائل التواصل الاجتماعي اهتمت البحوث الناتنوغرافية أولا بدراسة مظاهر النشاط التسويقي وإدارة الأعمال على النات. ثم انتقلت الناتنوغرافيا لدراسة التفاعل الاجتماعي والخبرات الاجتماعية والفردية عبر الإنترنت من منظور إنساني. يكمن فهم هذه الإجراءات على أنها صلب البحوث الأنثربولوجية، وتعتمد بشدة على أشكال الاتصال وتبادل المعلومات بعبر فضاء الانترنت، على عكس المجالات التقليدية للإثنوغرافيا.

ومنذ ظهور الإثنوغرافيا الافتراضية خصص بعض الباحثين دراسات في هذا الموضوع (Hine، 2000، 2005، 2008، 2015) و(Kozinets، 1998، 2010، 2015 2018). لقد سعى Kozinets سنة 2015 الانتقال من مفهوم الإثنوغرافيا الافتراضية إلى مفهوم "الناتنوغرافيا"، كمنهج ملائم للبحث في المجتمعات والثقافة على الإنترنت.

**3.3 المنهج الناتنوغرافي في الدراسات الإعلامية:**

كما ورد ذكره سابقا فإنه نظرا لتطور الظاهرة الاتصالية والإعلامية التي أفرزها التطور التكنولوجي في مجال الاتصالات وظهور ما يسمى بالمجتمعات الافتراضية التي أفرزت نمطا جديدا من السلوكيات والثقافات، كان العمل أكثر من ضروري على تبني منهج كيفي يتلاءم مع هذه الظواهر، فانزاح الباحثون إلى استخدام ما يسمى بالإثنوغرافيا الافتراضية أول أمر ثم الناتنوغرافيا كمسمى حديث جدا، باعتبار أن الدراسات الكمية قد عرفت عجزا نوعا ما في تفسير تفاعلات أفراد المجتمعات الافتراضية التي لا تبدو على عادة الظواهر الاجتماعية والإنسانية في المجتمعات الواقعية.

ففي سنة 2005 مثلا قامت الباحثتان Patricia Dreantea و Jennifer Moren Cross بدراسة إثنوغرافية افتراضية استهدفت جماعة من الأمهات التي كانت تتقاسم نفس الاهتمامات والوضع على شبكة الانترنت، وكن يتبادلن النصائح والمعلومات حول الحمل

والولادة والرضاعة، وقد كانت الباحثة جينيفر إحدى المشاركات في هذه المجموعة من مكنها من ملاحظة الأخريات بالمشاركة في المجموعة.

كما قدم الباحث Hine سنة 2000 دراسة حول الإثنوغرافيا الافتراضية، ذكر فيها أن هذا المنهج لا يقتصر على دراسة كيفية استخدام الأفراد للانترنت فقط، وإنما تجاوز ذلك إلى كيفية إعطاء ممارسات الأفراد معنى للانترنت في سياقهم المحلي، وقام في هذه الدراسة أيضا بتحديد مبادئ ومهارات الإثنوغرافي الافتراضية:

- التواجد المستمر للباحث الإثنوغرافي داخل الفضاء الافتراضي المبحوث.
- التقيد الصارم بملاحظة يوميات المستخدمين.
- يجب أن يكون الفضاء معروفا كموقع للتبادل .
- اعتبار الانترنت مكانا ثقافيا يقبل الملاحظة.
- اعتبار كل أشكال التفاعلات الاثنوغرافية ممكنة.
- ضرورة التكيف مع كل الوضعيات أثناء العمل على اكتشاف العلاقات الشخصية.
- اعتبار الاثنوغرافيا الافتراضية نشاطا يوميا للباحث أكثر من المستخدمين. (حبريز، 2018)

### 4.3 أدوات جمع البيانات في المنهج الناتنوغرافي

يعد المنهج الناتنوغرافي أحد أساليب البحث الكيفي في مجال التسويق، ويندرج ضمن ما يسمى بالمقاربات المنهجية الكيفية، كما أنه يدرس التفاعل والسلوكيات في مجتمع له خصائص معينة، وبالتالي فهو يقترب من المنهج الإثنوغرافي خصوصا من حيث خطواته المنهجية وكذا الأدوات التي يعتمد عليها الباحث لجمع البيانات أثناء القيام بدراسته عبر شبكة الانترنت. ويلتزم الباحث الناتنوغرافي أن ينغمس في المجتمع موضوع بحثه، ويعني ذلك المشاركة في المحادثات والاتصالات والتفاعلات التي تحدث بين أفراد المجتمع، وربط علاقات معهم قدر المستطاع. وهنا عليه أن يمزج بين فنون الفراسة وحسن قراءة المواقف والتقيد

بالأسلوب المنهجي الذي يعني استخدام الملاحظة بطريقة علمية، وكذا صياغة التحليلات والتفاسير في قالب علمي كما هو الشأن في المنهج الإثنوغرافي. (Bernard, 2004, p6)

إن فلسفة البحث الناتنوغرافي تستدعي المشاركة الفعلية والكاملة للباحث في مختلف نشاطات مجتمع موضوع الدراسة، بالإضافة إلى بناء معرفة مسبقة حول كافة الأعمال العلمية والبحثية التي لها علاقة بموضوع بحثه، ثم بعد ذلك التعرف عن كثب عن المجتمع الذي هو بصدد دراسته والبحث فيه وهذا من خلال اكتساب لغته، معاييره واهتمامات أفراده، وحقول الاتصال والتفاعل، وأهم شيء كسب ثقة هؤلاء المبحوثون. (Bernard, 2004, p9)

**الجدول 1: مقارنة بين أدوات جمع البيانات في المنهج الإثنوغرافي والمنهج الناتنوغرافي**

| أدوات جمع البيانات | المنهج الإثنوغرافي | المنهج الناتنوغرافي |
|---|---|---|
| المقابلة / المحادثة الميدانية | محادثة روتينية وعادية.<br>مقابلة موجهة أو شبه موجهة<br>إمكانية إجراء المقابلة فرديا أو جماعيا | قراءة اتصالات الأعضاء (المنتديات، الدردشة...) يمكن للباحث إثارة نقاشات لدفع المبحوثين للتفاعل.<br>إمكانية إجراء مقابلة مع فرد أو عدة أفراد في شكل مجموعات افتراضية عبر الانترنت. |
| الملاحظة | الملاحظة بالمشاركة | ملاحظة بالمشاركة: ملاحظة تفاعلات ومشاعر وتعليقات المبحوثين في مجموعاتهم الافتراضية. |
| تحليل المواد | السير الذاتية، الخطابات، قصص الحياة والتجارب | زيارة المواقع الالكترونية التي يرتادها المبحوثون. |

**المصدر**: (Bernard, 2004, p23)

ومن جهته قدم الباحث Kozinets مجموعة من الاختلافات والتشابهات بين المنهج الإثنوغرافي والمنهج الناتنوغرافي خصوصا فيما يتعلق بالجانب المنهجي والموضوعات التي يهتم بدراستها كلا المنهجين نبرز أهمها في الجدول التالي:

**الجدول 2: أوجه التشابه والاختلاف بين المنهج الإثنوغرافي والمنهج الناتنوغرافي حسب الباحث Kozinets 2002-2006**

| | الإجراءات المنهجية | مواضيع البحث | الباحث |
|---|---|---|---|
| أوجه التشابه | **منهجية عمل مرنة قابلة للتكيف مع السياقات الثقافية والاجتماعية محل الدراسة؛ يقومان على فهم الظاهرة الخاصة بالمجتمع المدروس (استنباط الحقائق والخبرات)؛ الدفاع عن تفسيرات وتأويلات وقياسات البيانات المتحصل عليها.** | المعاني، نشاطات بنى اجتماعية معينة؛ التركيز على سلوك المستهلكين؛ يتطلب الفهم المعمق للمجتمع موضوع الدراسة التردد عليه لشهور عديدة. | ضرورة تمتع الباحث بكفاءة علمية عالية خصوصا أثناء عملية جمع البيانات وتحليلها؛ ملاحظة السلوك الطبيعي للمبحوثين بكل سرية؛ يتطلب منه إظهار الجدية والصرامة في توثيق البيانات؛ مدى اهتمامات الباحث ومهاراته يؤثران على نتائج البحث. |
| خصائص المنهج الإثنوغرافي | يتطلب بذل جهد بدني، ويستغرق وقتا أطولا؛ قد يشعر الأفراد المبحوثون بنوع من التطفل عليهم. | يدرس السلوكيات وأنماط التواصل لمجتمعات واقعية لها حدود معلومة. | يتطلب الحضور البدني للباحث في السياق الذي يبحث فيه؛ المشاركة في مختلف نشاطات المجتمع المدروس. |
| خصائص المنهج الناتنوغرافي | بسيط ولا يكلف بذل جهود كبيرة ووقت طويل؛ لا يشعر الأفراد بالتطفل عليهم. | موجه لدراسة الموضوعات الافتراضية على الانترنت لاسيما أنماط التواصل والتفاعل. | لا يتطلب الحضور البدني للباحث؛ مشاركة الباحث تكون اختيارية. |

**المصدر**: (sayarh, 2013)

## 4. خاتمة:

لقد استعرضت في هذه الورقة البحثية منهجا يراه الكثير من الباحثين أنه ملائم لدراسة الظاهرة الاتصالية في البيئة الرقمية وهو المنهج الناتنوغرافي. ويعتبر امتداد للمنهج الإثنوغرافي الذي يعتمد عليه الباحثون بكثرة في الدراسات الانثربولوجية لدراسة أنماط العيش والثقافات وأساليب الاتصال بين الأفراد والمجتمعات. وقد توصلت إلى نتيجة رئيسية مفادها أنه وللأسف لا يحظى هذا المنهج (الناتنوغرافيا) باهتمام الباحثين العرب على عكس الباحثين الغربيين الذين أحرزوا تقدما بالغا في هذا المجال. خصوصا وأن المجتمعات الافتراضية أصبحت واقع معاش

وظاهرة اجتماعية واتصالية لابد للباحثين من التعامل معها بأسلوب بحث ودراسة معين يتماشى وطبيعتها.

وعلى العموم فإنه من الضروري الاهتمام بهذا المنهج في الأبحاث والدراسات العلمية والأكاديمية على كل المستويات، لأن الاتجاه اليوم يركز على البحوث الكيفية التي ربما هي الأنجع لفهم وتفسير الظواهر الاتصالية في البيئة الرقمية. وهنا أنوه إلى أهمية تأسيس مخابر أو معاهد بحث متخصصة في البحث الناتنوغرافي، من أجل تكوين الباحثين لاسيما طلاب الجامعات حتى تكون لهم القدرة على التحكم في تقنياته وأدوات جمع البيانات، وتفسير السلوكيات والأنماط الاتصالية والخروج بنتائج علمية تمكننا من فهم الظاهرة الاتصالية الرقمية فهما سليما وصحيحا.

**5. قائمة المراجع:**


كاظم، رباب راسم. (2012). المجتمعات الافتراضية واقع جديد. بحث تحليلي. *مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية* (8)، 152-153.

حيريز، رزيقة. (2018). المنهج الاثنوغرافي واستخداماته في علوم الإعلام والاتصال. *مجلة العلوم القانونية والاجتماعية* (12)، 282-283.

حسني، رفعت. (2019). *المجتمعات الافتراضية وجيل الإنترنت: المفهوم، السمات، الأنواع*. تاريخ الاسترداد 28 11, 2021، من الحوار المتمدن:
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=651147

الدلقموني، رماح. (2021). *وسائل التواصل الاجتماعي حقائق وأرقام*. تاريخ الاسترداد 30 نوفمبر, 2021، من الجزيرة نات:
https://www.google.com/amp/s/www.aljazeera.net/amp/news/scienceandtechnology/2021/10/6

الديربي، عبد العال. (2013). *المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني*. تاريخ الاسترداد 28 نوفمبر, 2021، من www.accronline.com: https://accronline.com/article_detail.aspx?id=9683

رحومة، علي محمد. (2008). *علم الاجتماع الآلي: مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب*. الكويت،عالم المعرفة.

زيتون، كمال عبد الحميد. (2006). *تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها إلكترونيا* (الإصدار 1). القاهرة، عالم الكتب.

عبوب، محمد أمين. (2019). المجتمعات الافتراضية: أنماطها ومشكلاتها. *مجلة علوم الإعلام والاتصال ، 2* (2)، 3-4.

حجاب، محمد منير. (2004). *المعجم الإعلامي*. القاهرة، دار الفجر.

Bernard, Y. (2004). La netnographie : une nouvelle méthode d'enquête qualitative basée sur les communautés virtuelles de consommation. *Décisions Marketing* (36), 23.

Kozinets, R. V. (2012). Marketing Netnography: Prom/ ot (ulgat) ing a New Research Method. *Methdological Innovations Online , 7* (1), 39.

Sayarh, N. (2013). la netnographie: mise en application d'une méthode d'investigation des communités virtuelles représentant un intérêt por l'étude des sujets sensibles. *recherches qualitatives , 32* (2), 230.

Van Beijum, B. (2009). Mobile Virtual communities for telemedecine: research challenges and opportunities. *International Journal of Computer Science and Application , 6* (1), 20.

Van Beijum, B. (2009). Mobile Virtual communities for telemedecine: research challenges and opportunities. *International Journal of Computer Science and Application , 6* (1), 20-21.

Corea, Rozados. (2017). A netnografia como método de pesquisa em Ciência da Informaçao*Encontros bibli: revista electrônica de biblioteconomia e ciência da informaçao, 22 (*4),91.